

الزينة

عند قدماء المصريين

أناقة الرجال — الزى والحلاقة والحلى — زينة النساء — الثياب — الاصباغ — العطور

للأستاذ حسن صبحي

« تلبس ثيابا من الكتان الناعم
وتركب الخيل وتحمل لها السوط الذهبي في يدك
لك سرج جديد شغلته ايدى الشوام
وتجرى أمامك العبيد يصدعون بما يؤمرون
يدهن جسمك كبير معطريك بطيب الكيمى
وفك مليء بالنبيذ والخير
..... الخ »

« من قصيدة تحية المعلم من الشعر المصرى القديم »

يا لها من أناقة وفخامة ! ثياب من كتان ناعم ! وسوط الركوب
موشى بالذهب ! وسرج جديد من صنع أهل الشام ! وعبيد سياس
يجرون امام السيد المعلم يفسحون له الطريق ويصدعون لما يأمرهم
به ! وعطور وطيب يدهن به جسمه !
وأية أناقة تعدل هذه الأناقة ! وأين هاتيك الأناقة الرائعة ،
والفخامة فى الثياب وفى المركب وفى الخصاصة بما نحن عليه الآن ،
وبما نظنه . انتهى ما وصلت اليه مدينة القرن العشرين بعد الميلاد !
لسنا نحن الذين نصف ازياء المصريين فتهم بالتحيز لأجدادنا ،
بل هم المصريون أنفسهم يتحدثون عن أزيائهم فى هذا الشعر القديم ،
ولا يتركون لمتشكك فرصة ما فى ان يظن بهم غير ما يصفون ،
فيخلفون فى قبورهم الثياب الكتانية البيضاء الناعمة ، والحلى الذهبية
المطعمة بالجواهر والاحجار ، ويخلفون القفازات . والصنادل الجلدية
الفاخرة ، ويخلفون السروج المزركشة بالذهب والفضة ، والسياط
المقوشة الموشاة بالذهب والفضة وكراشم الاحجار ، وآنية مرمية
وأخرى رخامية تحوى عطوراً فيها السوائل وفيها الصلب وفيها
ما بينهما من معاجين ومقشطات ، ويخلفون غير هذا وذاك صوراً
على الجدران تمثلهم فى هذه الثياب الرقيقة ، وهاتيك الحلى الثمينة ،
وتلك الأناقة الرشيقة ، وتمثلهم وهم يدهنون ، وهم يعطرون ، وهم
يتزينون ! ...

أفنتطيع بعد هذا ان نتكرر على القوم ما كان لهم من «تواليت»؟!
وتواليت دى لو كس ايضاً؟!

أناقة الرجال:

نظر المصريون الى الرجل من نواحي الرجولة التى تبعده كل
البعد عن المرأة ونواحي الأنوثة فيها ؛ فالرجل يجب أن تبدو منه
عضلاته دليلاً على القوة والبأس ، الم يخلق للعمل والحرب ؟ إذن :
فلترك صدره ليبرز ما عليه من الفورسبس (عضلات الصدر)
أمام الأعين ، دليلاً على قوة الرجل أو هزاله ، وليخلى عن ذراعيه
من الثياب ليظهر ما فيها : بايسبس وترايسبس (عضلات الذراعين فوق
الرسغ والكتف) فيميز الناس فيه القدرة والعجز ، ولتحلى تلك
الصدر البارزة القوية بالعقود والمديلات وتلك الاذرع والمعاصم
بأساور من ذهب أو ما يشبه الذهب ، كى تستلفت العين الى ما فيها
من شدة وبأس وكمال فى النمو ، هى ما يقتزن بلفظ « الجمال » فى
الرجل ، وما يميز جمال الرجل عن جمال المرأة .

هذا الجمال فى النمو وفى الشكل توجده الطبيعة فى الأصل ،
ولكنها تكل للرجل تعهده والعناية به ، فهو لابد مستمر فى القيام
على اظهاره فى أجمل صورة له ، وهل يتم له هذا الاظهار الا بمداومة
النظافة والرياضة والعناية ؟ والنظافة لم تكن بعيدة المنال على المصريين
فقد كان النيل دائماً الأب الرحيم ، يغتسلون فيه ، وفى ترعه ، وفى
مياهه يجرونها فى قنوات الى بيوتهم ، ونقرأ فى قصصهم عن احواض
الاستحمام التى كانت تبني فى القصور ، كما نقرأ عن ضرورة الاغتسال
قبل الصلاة ، وضرورتها لرفع الحدث الأكبر ، أى انها جعلت
ركناً من أركان دينهم ، كما ينص الاسلام على ضرورة الوضوء
والاغتسال قبل الصلاة وبعد الحدين

واذا عرفت ان المصرى القديم لم يكن يأكل ولا يشرب ولا ينام
ولا يعمل الا بعد ان يؤدى صلاته للآله ، وعرفت ان الدين كان فى
دم المصرى القديم الى حد ان أفقر الناس كان يبني دار ديناه من
طين ، بينما يبني لنفسه فى حياته قبراً من أغلى الاحجار التى يستطيع
شراؤها ، ويسمى هذا القبر : (البيت الأبدى) بينما يدعو مسكنه
الدينوى (بيت الاختبار) ؛ اذا عرفت هذا كله ادر كنت مبلغ تدخل
الدين فى كل شئ ، ومكان النظافة الشخصية من نفس كل مصرى
تبعاً لعقيدته .

الحلاقة

والنظافة عند المصرى القديم ليست الاغتسال بالماء فقط ، اذ
نرى من صورهم الكثيرة جداً ، انهم كانوا يقصون شعور رؤوسهم ،
ويقصونها لتميز رؤوسهم عن رؤوس النساء ، ثم كانوا حليقي
الوجوه ، لا لحى ولا شوارب ، ولم يكونوا يكتفون بقصها أو

الصورة بعد مضي خمسة آلاف عام على هذه الأناقة وعلى هذا التواليت ١٩

زبرجة النساء

لم تكن المرأة المصرية القديمة محجبة ، ولم تكن للرجل مجرد متعة ، اذ كانت تشاطره العمل في الملك ، وفي الكهانة ، وفي الحقل ، وتقوم بنصيها في البيت أيضا . تربي أطفالها ، وتجهز بيتها ، وتطهى طعام أسرتها ، وتحيك ثياب زوجها وصغارها ونفسها وكل هذا يضعنا وضعا صحيحا أمام حالة المرأة المصرية كي نفهم على أى أساس كانت تقوم المرأة بعمل تواليتها في مصر .

كانت المصرية (ربة بيت) فتوها يجب أن يكون طويلا يستر ذراعيها وصدرها وكعها ، لكنه كان أنيقا ليجارى أناقة رجلها ، فهو اذن ثوب يجمع بين الحشمة والأناقة ، يسر انوثتها المغربية ، ويبرز انوثتها الطبيعية غير المثيرة . ثوب طويل ضيق ذو ثنيات (بليسيه) يكون في معظم الأحوال أبيض ناصعا تتجلى فيه نظافتها وأناقته ، يسدل عليه في بعض الأحيان ثوب شبكي من خيوط ذهبية أو فضية ، ويتدلى فوق هذا الثوب شعرها الأسود الفحيم الطويل ، مصفوفا منسقا في صفائر ملتوية ، هي آية في الإعجاز والأناقة اذا قيس بتنسيق الشعر في العصر الحاضر .

ولم يكن السمن من سمات الجمال المصري ، فقد حرص المصريون القدماء على تصوير نسائهن في نحافة ورشاقة كأمشة ونماذج للجمال النسوي ، وامتدحوا نحافة السيقان في اشعارهم وغزلهم ، اذ يقول الملك خوفو لكبير أمثائه حين أراد الزهه في قارب :

« هيا احضر عشرين فتاة نحيفات السيقان والاذرع ، ناهدات الصدور ، لم يخلق مثلهن من قبل » (من قصة الملك خوفو والسحرة : قصص البردى) .

العطور

لم يكن نصيب هذا الجسم المستور الجمال ، من العناية والتواليت بأقل من نصيب جسم الرجل ، فالتنا نقرأ في النصوص : ان المرأة كانت تظلي جسمها بالعطور والأدهان لتصقله وتجعله براقا ناعما تحت ثيابها ، ونرى في الصور فوق شعر المرأة قطعة من الدهن العطري الأبيض ، ينجل دهنها فوق الشعر شيئا فشيئا كي يحفظ له طراوته ولمعانه ، وفي وصف المرأة في نصوص المصريين كثير يدل على طيب اريج ثيابها وجسمها

قطعها ، ولكنهم كانوا يحلقونها بالأمواس لتكون وجوههم نظيفة خالية المسام ، يميزهم عن غيرهم من الشعوب التي كانت ترخي ذقونها وشواربها كشعب فلسطين وشعب ليبيا وغير هؤلاء ممن ظهرت صورهم على الآثار بلحي وشوارب سوداء طويلة .

وقد يعجب القارىء اذ يعلم ان المصريين عرفوا أمواس الحلاقة منذ خمسة آلاف عام ، لكنها حقيقة خلفوا آثارها لنا ، اذ يحوى المتحف المصرى طائفة كبيرة من هذه الأمواس مصنوعة صناعة متقنة من شظايا الجرانيت والارذواز والبازلت الصلبة التي تتحمل الترقيق والتشجيد ، وتقاوم استمرار استعمالها في الحلاقة .

وإذ نمر بالاغتسال بالحلاقة بعد الزى ، وهى أوليات التواليت ، فالتنا نصل الى أقصى مراتب التواليت ، وهى ماسميته من قبل « تواليت دى لو كس » .

التواليت العالى

لم يكن للرجل العادى نصيب في التواليت العالى ، الذى لم يكن يعرفه غير أفراد الطبقة الممتازة . من الملوك والكهنة والوزراء والكتاب والأعيان .

هؤلاء كانوا يستمدون من ثروتهم وسلطانهم ما يستطيعون أن يقتنوا به العطور والأدهان يطلون بها أجسامهم كي تطيب رائحتهم وينعم جلدها وتبرق بشرتها ، فيبدو كل ما فيها من جمال الرجولة وأناقته . وكانوا يلبسون في أيديهم القفازات ، لا يتقون بها البرد ، وصدورهم وظهورهم عارية ، ولكن ليقبضوا بها على الأقواس ويشدون بها حين يطلقون منها السهام ، وبكمولون بها زيتهم وأناقته . ثم يضعون في أفدامهم صنادل أنيقة من الجلد الموشى بالخيوط الذهبية ، مبالغة في الأناقة والرفاهية .

هذه صورة حقيقية للرجل المصرى من الطبقة الممتازة :

رجل كامل النمو فى جميع أجزاء جسمه ، لا يستر منه غير عورته ، بسرور قصير من الوسط الى الركبتين مصنوع من الكتان الأبيض المثنى (بليسيه) ، يلبس فوق صدره عقودا وخرزا وفي معصميه أساور من ذهب ، حليق الوجه منسق شعر الرأس قصيره ، لا يضع على رأسه شيئا ، يلبس قفازا من الجلد وصندلا من الجلد ، ويمسك بيده سوطا من الجلد موشى بالذهب يسوق به فرسا يمتطيه ، ونحوه مظاهر الفخامة والأناقة والرجولة !

هل منكم من يعطينى صورة أكمل لأناقة الرجولة من هذه

حى بن يقظان

لمحة عن النظريات والمذاهب الفلسفية التى توحىها مطالعة الكتاب

لكتاب حى بن يقظان مقام جليل فى تاريخ الفلسفة العربية ، سجل لصاحبه شهرة واسعة فى القرون الماضية لاسيما فى بدء نهضة الافرنج . ولانزال نذكر الى الآن مؤلفه ابن الطفيل كلما طالعنا كتاب « روبنسن كروزو » لديفو الانجائزى ، فنحن وان كنا بغير حاجة فى هذا العصر الى ما فى هذه القصة من نظريات عقلية أو مذاهب عملية نرتب عليها أعمالنا فى الحياة ، لانزال نحفظ لمؤلفها فضل الاسيكية فى مثل هذا الفن القصصى الفلسفى ، ونريد أن نذكرها كلما اتينا على ذكر ديفو وبطل قصته روبنسن كروزو . ولست أريد من ذلك أن قصته روبنسن هى ككتاب حى بن يقظان قلباً وقالباً ولكن أريد أن اشير الى شبه فى الفكرة ومجاسة فى الفن القصصى .

ولنتنقل بعد هذه الكلمة الى ما نحن بصدد من استخراج النظريات والمذاهب الفلسفية من قصة حى بن يقظان لتبين قيمة هذا التراث الفلسفى الخيالى فى أدبنا العربى

لا نريد أن نقول - قبل أن نأتى على تلخيص القصة - أن ابن الطفيل قد ضمنها زبدة التعاليم الفلسفية العربية ، والمذاهب العملية وصاغها فى قالب خيالى جذاب تستشف من ورائه شخصية للفيلسوف الوادعة ، وفكرته الخاصة التى تنهك سراعاً للخير ، فكان بذلك سابقاً لديفو واضرا به من الافرنج القصصيين :

فأول ما يستلفت نظرك أيها القارئ الكريم من هذا الكتاب هو عنوانه الرمزى الغريب : حى بن يقظان . فمن هو هذا « حى » ؟ وابن من ؟ ابن يقظان ... هذا الاسم رمزى فى مدلوله وهو فى عرفهم ابن من لا ينام أى الله عز وجل

وتفتح الكتاب فإذا هناك مقدمة وجيزة فى نقد الفلاسفة الاسلاميين ، ونظرة سريعة فى الحكمة الشرقية سيشرحها لك مفصلاً عند الحديث على بطله حى

كل الكتاب نظريات وثبت للمذاهب الفلسفية ، فأول ما نتاجا به أيها القارئ هى هذه النظرية ، نظرية التوليد من غير أم وأب ، فيدهشك هذا القول من فيلسوف إسلامى ويفضبك خصوصاً اذا كنت من اصحاب الايمان الحار ، يأخذ بك ابن الطفيل فى منعرج هذا المذهب الوعر الذى يصعب علينا حله واتباعه ، ويستطرد فى كيفية تخير الطينة تحت اشعة الشمس وعلوق الروح بها ، فلذلك الاستطراد ولا يعجبك الاعتقاد ، والحق يقال ان هذا المذهب

لم يكن يياض البشرة فى مصر القديمة يعتبر جمالا ، ذلك أن شمس مصر اللافتة تخرج ذلك اللون الخمرى البديع ، الذى يجعل من بشرة المصريين خلاصة وظرفاً لاتصل اليه البشرات الاوربية البيضاء الناصعة ، اذن فقد كانت النسوة المبيضات اللون تسعى الى الوصول للبشرى الأعلى فى جمال البشرة ، فيعمدن الى الحناء وهى من النبات المصرى الاصيل فيصبغن بها أجسامهن ووجوههن لتصبح لهن تلك البشرة النحاسية الخمرية الظرفية .

وهذا ما يطابق تمام المطابقة الغرض الذى استعملت فيه « البودرة » الاوربية . اليس منشأ البودرة هو الحصول على يياض يقترب من يياض المثل الأعلى للجمال الاوربى ؟

والأحمر ؟ فيم تحتاجه المرأة الخمرية اللون ؟ المحمرة البشرة بطبيعتها ؟ ثم أى جمال تشاهده الآن فى تلك الشفاه الحمراء فى لون (الطاطم) بين حدود خمرية وشعر أسود فى لون الفم ؟ إنها تبعث فى العين تنافراً قل أن يرضى أحداً .

لهذا لم يعرفه المصريون فى زينتهم مع معرفتهم لونه ومسحوقه فى تلوين الجدران البيضاء ، وفى التصوبر على الفخار ، وفى الكتابة على البردى

لكنهم عرفوا (الكحل) ووضعوه فى عيونهم ، وجعلوا منه الوانا متباينة بين الاسود الفخمى والأخضر القاتم ، والازرق الداكن ، والعسلى الغميق ، وكلها لتطابق الوان الشعر والعيون والاهدا ب ، وتمشى مع تناسق ألوان هذه الاجزاء فى الجسم .

واليك صورة جميلة للمرأة المصرية القديمة :

« امرأة رشيقة فى ثوب رقيق ناعم من الكتان ذى ثنيات طويلة يستر كل جسمها ويدل على مواضع الجمال الطبيعى فيه ، ذات وجه خمرى يبدو فوق هذا الثوب الانيق بجماله الطبيعى ، خفيفة حمرة الشفاه ، بياض الاسنان ، سوداء العينين مكحولتهما بكحل يطابق لونه لون حبة عينا ، مرسله الشعر الاسود فى صفائر على كتفها ، يتشعريجه وطيه وعطوره ، وتضع فى قدمها صندلاً رقيقاً يزيدها رشاقة وأناقة ...

هذه هى مثل الاناقة المصرية ، والتواليت المصرى منذ خمسة الاف عام ... ؟